

المولد النبوي الشريف

أسماء رمضان

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على خاتم الأنبياء والمرسلين حبيبنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين.

في هذه الأيام تظللنا مناسبة كريمة جليلة، كانت إرهاباً لتاريخ عظيم خطير: تلك هي ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الشريف، ومشرق المجد الإسلامي المنيف، الذي شاد صروحه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ...

فها هو شهر ربيع الأول يقبل علينا متألقاً، معطر الأجواء بأزكى الأريج، وأحبه إلى قلوبنا.. إذ حقاً علينا وعلى كل المسلمين: أن نفرح بيوم ميلاده صلى الله عليه وآله وسلم، وأن نستقبله سعداء مستبشرين، فهو اليوم الذي تدفق فيه العلم والهدى والنور إلى هذا العالم أجمع بمولد رسول الرحمة للعالمين فأعظم بهذا اليوم وأكرم...

{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا} يونس 58.. ولا شك أن أفضل أنواع الاحتفاء بهذا المولد النبوي الشريف يتجلى: في الزيادة من ترتيل القرآن الكريم؛ واستعراض سيرته، والحديث عن جوانب العظمة في شخصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وصور الجمال والكمال في خلقه وخلقه...

وإنها لمناسبة مفعمة بالنور لكي نقرأ السيرة الزكية، ونستعيد ما فيها من دروس وعبر، مما يشعر الأبناء بعظم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحياته المشرقة بصدق الإيمان، فنملأ نفوسهم بحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيمه وتوقيره وإن هذا بدوره لمن أقوى الأسباب التي تجعلهم يحبون سنته، ويعظمونها، ويحرصون على العمل بها...

فيا ليتنا ننتهزها فرصةً في كل عام لتندرس مع أبنائنا وبناتنا تاريخ هذا الرسول الكريم، ونتعرف إلى أخلاقه الفاضلة وشمائله الكريمة... ويا ليت الأمهات والآباء يجلسون إلى أبنائهم وبناتهم حول السيرة العطرة، لربطهم بسيرة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وحياته المتألقة من حين ولادته إلى وفاته عليه أفضل الصلوة والسلام... وأن نبوة محمد ﷺ كانت مذكورة معروفة من قبل أن يخلق الله ويخرجه إلى الدار الدنيا حياً... ولقد ذكر ذلك في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إني عند الله في أم الكتاب لحاتم التبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسوف أنبعثكم بتأويل ذلك دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك أمهات التبيين يرين» [أخرجه الحاكم و قال صحيح الإسناد]... وفي حديث أبي هريرة للترمذي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: يا رسول الله! متى وجبت لك النبوة؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»..

ولا بد لنا هنا أن نذكر شيئاً حول مشروعية الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحكمه ونشأته: فالיום الموالد من أهم وسائل الدعوة إلى الله، والإعلام الإسلامي، التي إن أحسنّا استخدامها أتت بالثمار الطيبة، والنتائج المرضية.. لكن هناك قلة من العلماء قد تشددوا في إنكار الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم واعتبروه بدعة منكراً مخالفاً في ذلك جمهور الأمة الإسلامية الذين أجمعوا في الماضي والحاضر على إباحة هذا الاحتفال، واعتباره أسلوباً من أساليب أداء فروض الشكر لله تعالى على نعمته المصطفى المبعوث رحمةً للعالمين، وضرورة من ضرورات تعميق الحب والصلة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.. إذ أنّ تشدّد المنكرين في نفي فكرة الاحتفال بالمولد الشريف بحجة أنه شيء مبتدع تشدد في غير محله، فليس الأصل في الأشياء الحرمه، بل الأصل فيها الإباحة حتى يرد النص بالتحريم، وأنه ليس كل ما أحدث مما لم يفعله السلف، ولم يكن في عهده صلى الله عليه وآله وسلم هو بدعة منكراً تجب محاربتها. وأن [البدعة الضلالة] التي تحدث عنها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم هي أمر مغاير للأمر المستحدث بوجوه الشريعة وأحكامها المصلحة من مصالح المسلمين، لأن حقيقة البدعة أن يُقحم المبتدع في بنية الدين وجوهه ما ليس منه، وهي أيضاً ما صادم نصاً أو خالف هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو ترتبت عليه مفسدة.. وأن ما سمّاه العلماء [بدعة حسنة] حين قسموا البدعة أقساماً هو نفس [السنة

الحسنة] التي دعا إليها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: «من سنَّ في الإسلام سنةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها بعده...» وأنهم سموها (بدعة) بجامع معنى الاستحداث الملحوظ فيها...

ومن ثمَّ فالاحتفال بالمولد ليس أمراً منكرًا مذمومًا، ولا يتحقق فيه تعريف البدعة الضلالة، فإنه ليس فيه مخالفة لكتاب ولا سنة ولا أثر ولا إجماع، ولا يقترن به ادعاء ورود الشرع به، كما لا يخرج عن كونه اجتماعاً على خير يحقق مصلحة للمسلمين فهو من قبيل السنة الحسنة...

ولا شك في أن حب المسلمين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان السبب الأول في ظاهرة الاحتفال بمولده صلى الله عليه وآله وسلم كل عام.. ثم إن من أهم أسباب ظهور الموالد تلك الأزمات التي مرت بها الأمة الإسلامية من حروب مع الروم خلال العصر العباسي، وهجمات صليبية، وغزو تترى، وما رافقها من الاستيلاء على القدس وتدمير بغداد، وقتل العلماء فيها، وإحراق الكتب، ومحو آثار العلم والحضارة والمدنية...، وعوامل أخرى شديدة الخطر: منها النزاع بين السلاطين والأمراء، وانتشار الخلاعة والمجون، وفساد الأخلاق بشكل عام.. فكان من الطبيعي إزاء هذه الأوضاع السيئة أن يظهر التصوف السني الناصع المتمسك بشريعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن ينهض رجاله بالدفاع عن الإسلام ومقدساته، إذ كان للمتصوفة دور كبير في تأليف الموالد والاحتفال بها وذلك حباً واستشفاعاً به صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله سبحانه وتعالى..

وهكذا شاع الاحتفال بذكرى مولده صلى الله عليه وآله وسلم، وألقت لذلك الموالد، ودرج الناس على قراءتها في مناسبة الاحتفال بمولده صلى الله عليه وآله وسلم، وفي شتى مناسباتهم العامة والخاصة.. ذلك هو أعظم سبب في نشوء الموالد.. ومن ذلك يتبين لنا أن الاحتفال بيوم المولد عمل محدث لم يُعهد في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولا في عصر أصحابه أو التابعين لهم بإحسان...

أما أول عهد العالم الإسلامي بالمولد: ففي القرن الرابع الهجري حيث أحدثه الفاطميون في القاهرة.. ولما جاءت الدولة الأيوبية ألغيت جميع الأعياد التي كان يحتفل بها الفاطميون بما في ذلك الاحتفال بالمولد الشريف، وظل الأمر كذلك حتى مطلع القرن السابع الهجري إلى وقتنا الحاضر...

وقد اعترض بعضهم على فكرة المولد بأن فيه بعض المنكرات التي تخالف بعض الاحتفالات بالمولد، فالمؤكد أنّ المنكر الحقيقي هو خارج بحثنا تماماً لأن موضوعنا هو الاحتفالات المنزهة عن المنكرات والعبث واللهو...، فهل يرتضي المسلم العاقل أن يحتفل بمولد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم تقرباً منه و تحبباً.. ثم يرتكب من المنكرات ما يغضبه عليه الصلاة و السلام..

و يقول الدكتور البوطي حفظه الله تعالى: (وإذا رأينا من يخلط الاحتفالات بمولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما يسيء إلى نتائجها، فإن التنبيه يجب أن يتجه إلى هذا الخلط، لا إلى جوهر العمل بحد ذاته، فمن الضروري الدعوة إلى تنقية مثل هذه الحفلات وسائر الشؤون المستجدة الأخرى من الشوائب، والتحذير مما قد يتسلل إليها من المنكرات.. ولكن حتى لو ظهر في هذه المستجدات قليل من الشر، فإننا نقبلها ونحافظ عليها تمسكاً بما قد تنتجه من الخير الكثير، على أن نحافظ على تطبيق القاعدة القائلة: «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح...»).

